*قضية التكرار في القرآن الكريم*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *د. وليد علي الطنطاوي*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*waleed.eltantawy@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في قضية التكرار في القرآن الكريم**

**الكلمات المفتاحية : القرآن ،الحديث الشريف ، التكرار**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن قضية التكرار في القرآن الكريم**

1. **عنوان المقال**

أما تصريف المعنى في الدلالات المختلفة، كأنه هنا يقصد الغرض المسبوق له بالكلام، فقد جاء في القرآن في غير قصة منها:

قصة موسى # ذُكرت في سورة الأعراف، وطه، والشعراء وغيرها، وهكذا نرى أهل التحقيق، ومنهم الرماني، ومن المعاصرين الدكتور إبراهيم الخولي، في كتابه جليل القدر: (التكرار بلاغة)، يرون أن التكرار ما أُعيد بلفظه ومعناه، والتصريف ما أعيد بدلالات مختلفة وعبارات مختلفة، ولكل مقامه، ولكل ما يقتضيه، ولكل غرضه الذي يستدعيه، وغايته التي تراد منه.

ونبقى الآن مع مقامات التكرار بمعناه الذي اصطلحنا عليه في كتاب الله تعالى:

فيأتي التكرار، في مقام اللجوء إلى الله -والعياذ بالله- فقد قال لنا ربنا يعلمنا: {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ} [النحل: 98]، وفي سورة الناس {ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ} [الناس:1- 6]، فآية النحل، أمرت بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند إرادة قراءة القرآن، وبهذه الاستعاذة -التي تتضمن ذكر الله، وتتضمن اللجوء إليه، والتحصن باسمه من شر الشيطان ووسوسته- يتفرغ تالي كتاب الله لتلاوته، مستجمع العقل والفكر، قد تباعد عنه الشيطان الذي رُجم بذكر الله، وطُرد عن الساحة المباركة، وهنا يكون التدبر والتفكر والاعتبار.

وسورة الناس، أمرت بالعوذ برب الناس التي وصفته السورة بالربوبية، والملك، والإلهية، والعوذ: هو الالتجاء إلى الغير، والتعلق به، كذا في: (المفردات)، للراغب، وعادة ما يكون ملتجئًا ضعيفًا خائفًا، ينشد الحماية والنصرة من بطش باغٍ، أو شر ما لا يستطيع دفعه عن نفسه، وليس أضعف من الإنسان إن واجه الشيطان وحده، ولم يتحصن منه بالالتجاء إلى من له الأمر كله، وهكذا جاءت سورة الناس؛ تُعلَّمهم اللجوء إلى الله الذي له مقاليد السماوات والأرض، من شر الوسواس الخناس.

ومقام آية النحل مقام خاص، مقام لتلاوة القرآن وتدبره بنية التعبد والتقرب إلى الله ، ومقام كيد الشيطان للإنسان فيه ضعيف بعيد، ومقام سورة الناس عام يتَّسع للناس جميعًا في تقلبهم في حياتهم سعيًا وكسبًا، تضطرب بهم الأحوال، وتتنازعهم الأهواء، وتستبد بهم إغراءات الدنيا، ويتعرضون خلال ذلك لوسوسة الشيطان، يغريهم، ويزين لهم ما بين أيديهم وما خلفهم مما حرم الله عليهم، ويجتهد في إغوائهم بكل وسيلة، وفي إضلالهم بكل حيلة، وكيده هنا قريب محتمل، ومن الناس من يستجيب لوسوسته، ويقبل ما يوحي إليه به، يقول تعالى: {ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ} [النحل: 100].

سلطانه على هؤلاء، وهؤلاء لا يذكرون الله، ولا يعوذن به، وبنو آدم مبتلون بخوض معركتهم مع الشيطان، لا يفتأ يوسوس لهم، ويوحي إليهم، وقد جُعل لكل واحد من بني آدم قرين يغويه بالكفر، أو يغريه بالمعصية، فقد ثبت في الصحيح، قول النبي : ((ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)).

وإذا كان رسول الله  بحاجة إلى عون الله له على قرينه حتى يُسلم وينقاد، ولا يوحي له إلا بالخير، فكل من عدا رسول الله  أشد حاجة إلى هذه الإعانة؛ ومن هنا كان الأمر بالعوذ والالتجاء إلى رب الناس، ملك الناس، إله الناس، من شر الوسواس الخناس.

فقد جاء عن أنس بن مالك > قال: قال رسول الله : ((أن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإن ذكر اسم الله خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخناس))، فضعفُ الناس أمام إغواءات الشيطان، هو سرُّ تكرار هذا اللفظ مضافًا إليه في المواضع الثلاثة، فهو الإيحاء بما للجن والإنس من منزلة في هذا العالم؛ حيث خصهم الله بحرية الاختيار، ولم يبنِ أمرهم على التسخير الذي يحكم حركة الوجود بما فيه من كوائن وكائنات، أحياء، وجمادات، وهو الإيحاء بعظم رحمه الله بالناس، وكلاءته إياهم، وبره بهم، وإرادته الخير لهم، وهو الإيحاء بشدة قرب الناس من خالقهم، وتقريبه لهم {ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ} [هود: 90]، {ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ} [هود: 61].

فتكرار الإضافة إلى الناس إذًا، يعمق في نفوسنا معنًى نتوهم معه كأن الله رب العالمين، رب الناس وحدهم، وملكهم وحدهم، وإلههم وحدهم، وهذا يُنشئ من الصلة بين الناس وربهم ما لا يقدر على إنشائه إلا خالقهم جل وعلا، وقد علمنا ربنا بهذا الأسلوب كيف نتلطف في دعوة الناس وجمعهم على ربهم، وعلى نحو ما جاء التكرار في مقام اللجوء والاستعاذة بالله نكتة بلاغية، جاء كذلك في مقام التبليغ والإنذار فقد تكرر في سورة الإعراف قوله: {ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ} [الأعراف: 85]، أربع مرات على لسان رسل الله نوح، وهود، وصالح، وشعيب -صلوات الله عليهم، وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين. والأعراف سورة الإنذار، وجوهر الإنذار الدعوة إلى التوحيد، ونبذ الشرك؛ فالتوحيد أصل الدين كله تتفرع عليه، وتستند إليه سائر شعبه، وشعابه عقيدة وشريعة، خلقًا وسلوكًا، إلى آخره.

والتوحيد حقيقة لا تختلف، ولاتتأثر بملابسات الزمان والمكان حقيقة مطلقة لا مكان معها لنسبية في التصور، أو التعقل، ولا مجال معها لاختلاف في الفهم، أو الإدراك، ولا يُقبل فيها العبارات الموهمة، ولا الألفاظ المحتملة؛ سدًّا لذريعة الشرك، وما يتفرع من شجرته الآثمة من تشبيه، أو تجسيم، أو تعطيل، وقد أعلن القرآن العظيم، وحدة هذا الأصل الجامع، وأنه واحد في رسالات الأنبياء ودعواتهم من نوح إلى محمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- ففي سورة الشورى يقول الله تعالى: {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ} [الشورى: 13].

وإذا كانت هذه الآية الكريمة، قد اقتصرت على ذكر الخمسة أولي العزم من الرسل، فقد جاء التعميم في آية أخرى، وفيها بيان لمضمون هذا الدين الواحد، الذي أوحاه الله إلى محمد  ووصى به نوحًا، وإبراهيم، وموسى، وعيسى {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ} [الأنبياء: 25]، هو تقرير إذًا للوحدانية بأسلوب القصر، قصرًا حقيقيًّا تحقيقيًّا لا يحتمل تأويلًا، ودخول الفاء هنا، أفاد ترتيب العبادة على الوحدانية، وتفريعه عليها، وهذا ما يجعلها حقًّا لله على عباده، وهو حق يتقرر بمجرد الاعتراف بوجوده ووحدانيته، يقول تعالى: {ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ [الذاريات: 56]، فمن أقر بالخالقية، أقر بالعبودية.

ثم إن عموم إيحاء هذا المضمون بحيث يشمل الرسل جميعًا لا يُستثنى منهم أحد، قد فُهم من مجيء النكرة "رسول"، في سياق النفي، في قوله تعالى: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ}، وتأكيد هذا العموم بدخول "من"، على هذه النكرة الواقعة في هذا السياق، وانسحب هذا العموم على الموحى به، وهو مضمون {ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ}، إذ كان معنى الجملة التي وقعت معمولًا لـ{ﭘ}، لا أحد من رسل الله إلا وأوحى إليه هذا، {ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ}، فالأمر بالعبادة هنا يشمل الرسول المبعوث  إلى الناس كافة، كما يشملهم الرسول  أول المخاطبين بما بُعث به، ثم هو يبلغه للناس ويدعوهم إليه، يقول تعالى في سورة الزمر: {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ} [الزمر: 11- 12].

ومن يعرف ما تفرق عليه الناس في أمر الدين، وما اختلفوا فيه من أمر التوحيد والتنزيه، وما انتهوا إليه من هذا التفرق والاختلاف من تعصب للمعتقد، وجمودٍ عليه، وما آل إليه أمر الفرق والطوائف بتاريخ الأديان من نزاعات وصراعات، بل واقتتال، كما حدث بين الكاثوليك والبروتستانت، ومن يعرف هذا يُدرك قيمة دعوة القرآن العظيم، الناس إلى الرجوع إلى الأصل الواحد، وإلى العودة إلى وحدة الدين، كما أنزله الله وشرعه لعباده على لسان نوح، ومحمد، ومن بينَهما من رسل الله -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهنا تظهر لنا قيمة تكرار مقولة التوحيد، التي انطلقت من لسان المرسلين جميعًا كلٌّ بلسان قومه، فكان ترجمتها ترجمة واحدة، تتكرر في سياق قصة نوحٍ، وقصة هودٍ، وقصة صالح، وقصة شعيب، نصًّا واحدًا يحمل مضمونًا مشتركًا، دون اختلافٍ في كلمة أو حرف، ودون اختلاف في تركيب أو نظم {ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ} [المؤمنون: 32].

ومن المقامات التي ورد فيها التكرار في القرآن الكريم، مقام الدعوة إلى التفكر والاعتبار يقول تعالى في سورة الشعراء: {ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ} [الشعراء: 105]، {ﮡ ﮢ ﮣ} [الشعراء: 123]، {ﭮ ﭯ ﭰ} [الشعراء: 141]، {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ} [الشعراء: 160]، {ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ} [الشعراء: 176].

فسورة الشعراء تدور حول المكذبين من الأمم الماضية، وما لاقوه من مصير بسبب تكذيبهم لرسلهم، فقد أشار مطلع السورة إشارة قوية لهذا، حيث صورت الآية الثالثة، ما كان عليه رسول الله  من حزن وأسى؛ لتكذيب قومه وعدم إيمانهم {ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ} [الشعراء: 3]، وفي السورة أيضًا {ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ} [الفرقان: 21]، فهذه الآيات تعيننا على تصور ما كان رسول الله  يجده من غمٍّ وحزن وهمٍّ بسبب تكذيبهم.

كما تعيننا على استشعار ما تعنيه الآية الرابعة: {ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ} [الشعراء: 4]، من وعيد وتهديد، وليس هناك في مقام الاعتبار والاتعاظ بمصائر المكذبين، حتى يتخذ من بُعث إليهم النبي محمد  منهم العظة والعبرة، ما هو أعظم في الدلالة وأنفذ في الموعظة، وأزجر عن التمادي، وأقوى في التعريض، من نبأ موسى وفرعون، ومن نبأ نوح مع قومه، ومن نبأ هود مع قومه، ومن نبأ صالح مع قومه، ومن نبأ لوطٍ مع قومه، ومن نبأ شعيبٍ مع قومه -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إذًا أنباء هؤلاء، هي معالم تاريخ البشرية فيما يتصل بقضية الدين وقضية الرسالة، ولا بد من تكرار الحديث عنهم حتى يتعظ من جاء بعدهم، وحتى يكون السابقون للاحقين عظة وعبرة.

وجاء التكرار كذلك في مقام التعليم والتلقين، وقد ذكرنا قبلًا أن التكرار من طرق التعليم يُواتي في مواقف لا يُواتي فيها غيره، وهو في تعليم الصغار ألزم، وفي تلقين ألوان بعينها من المعرفة أوجب، وتلك حقيقة تشهد بها التجربة، ويقررها علم النفس التربوي الحديث.

وقد صدق رسول الله  في تعليم المسلمين ممارسة هذا الأسلوب، واستخدامه في مقامات تشتد فيها الحاجة إليه، وقدم لنا في ذلك نماذج تُحتذى، ومُثُلًا يُهتدى بها، ولا عجب فهو الذي لا ينطق عن الهوى، وقد أدَّبه ربه فأحسن تأديبه -صلوات الله وسلامه عليه.

فقد جاء عن أنس عن النبي : ((أنه إذا كان تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا))، وقول أنس "حتى تُفهم عنه"، أوحت إلينا بالمقامات التي كان يصطنع رسول الله  فيها التكرار وسيلة تعليمية، غايتها إفهام المخاطبين ما يلقى إليهم دون لبسٍ أو غموض، وإفهام المخاطبين هنا لا يقتصر على إدراك معنى ما يقال لهم، وفهم دلالته، وإنما يتجاوز ذلك إلى إدراك قصد المتكلم وراء دلالة اللفظ على معناه.

ولعلنا بعد هذا التطواف حول هذين الإشكالين، اللذين لا يكف أهل الزيغ والباطل ومن ورائهم ممن في قلوبهم مرض، من إثارة الشبه بسببهما حول كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، لعلنا نستطيع بعد كل هذا أن نصل إلى كيفية الرد على مثل هذه الأباطيل، كما نستطيع معًا أن نوجد الإجابة الشافية حول هذا السؤال، وهو كيف ترد عادية من

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**